كمال قدرة الله سبحانه، والحث على التفكر في مخلوقاته.

قال الزركشي: «الالتفات من الغيبة إلى التكلم كقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾»(١).

قال أبو السعود: «والالتفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر»(٢).

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، وعناية المفسرين بها كبيرة، ولما تأملت فيها تبين لي ما يلي:

١ ـ أن أغلب الانتقالات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم يكون عائداً على الله تعالى.

٢ ـ وكذا أغلب ورود الالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب التكلم في الآيات الدالة على كمال قدرة الله جل وعلا وتصريفه لهذا الكون، كما في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ [الأنعام: ٩٩]، وقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ﴾ [النمل: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ [فاطر: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ﴾ [فصلت: ١٢].

٣ ـ أن في هذا الالتفات تخصيصاً للمذكور بأسلوب التكلم بعد الغيبة بمزية تتضمن التعظيم والتشريف، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾ [التغابن].

فقد ذكر الله ﷻ الرسول ﷺ بأسلوب الغيبة فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾، ثم أعقب الغيبة بأسلوب المتكلم فقال: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا﴾ فالتعريف بالإضافة في قوله: ﴿رَسُولِنَا﴾ لقصد تعظيم شأنه ﷺ، فهي إضافة تشريف وتكريم.

٤ ـ وفي هذا الالتفات إظهار العناية بالملتَفَت إليه، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ﴾ [فاطر: ٢٧].

---

(١) البرهان ٣/ ٣١٩.

(٢) تفسير أبي السعود ٨/ ٧.

قال أبو السعود: «﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ﴾ بذلك الماء، والالتفات لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة والحكمة»[١].

٥ ـ في هذا الالتفات تفنن في الأسلوب، وهو من إعجاز القرآن البياني، لمن فهم اللغة وتأمل في القرآن، ويظهر ذلك جلياً إذا تكررت ضمائر الغيبة ثم جاء بعدها ضمير التكلم، كما في قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةًۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [النحل].

جاءت ضمائر الغيبة في قوله تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِۚ﴾ ﴿ٱجْتَبَىٰهُ﴾ ﴿وَهَدَىٰهُ﴾، في سياق الحديث عن إبراهيم عليه السلام، ثم انتقل السياق إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾، وكان مقتضى السياق أن يكون: وآتاه.

قال ابن عاشور: «وضمير ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ﴾ التفات من الغيبة إلى التكلم تفنناً في الأسلوب لتوالي ثلاثة ضمائر غيبة»[٢]، والله تعالى أعلم.

المطلب الرابع

انتقال الكلام من التكلم إلى الغيبة

والمراد به: أن يكون السياق جارياً على أسلوب التكلم، ثم ينتقل إلى أسلوب الغيبة، وهذا الأسلوب هو أكثر أنواع الالتفات وجوداً في كتاب الله تعالى[٣]، ولذلك أولاه المفسرون اهتماماً في دراسة مواضعه وبيان فوائده.

قال الزركشي: «الالتفات من التكلم إلى الغيبة، ووجهه أن يفهم السامع أن هذا نمط المتكلم، وقصده من السامع حضر أو غاب، وأنه في كلامه ليس ممن يتلوّن ويتوجّه، فيكون في المضمر ونحوه ذا لَوْنَين، وأراد بالانتقال إلى

(١) تفسير أبي السعود ٧/ ١٥٠.
(٢) التحرير والتنوير ١٤/ ٣١٧.
(٣) ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ١٩٠ وما بعدها، فقد أوصل الأمثلة إلى أكثر من ١٣٥ موضعاً.

الغيبة الإبقاء على المخاطب من قرعه في الوجه بسهام الهجر، فالغيبة أروح له وأبقى على ماء وجهه أن يفوت»[١].

ومن أمثلة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى:

ـ قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة].

فالالتفات في هذه الآية في انتقال الكلام من أسلوب التكلم في قوله: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا﴾ وفي قوله: ﴿عَبْدِنَا﴾ إلى أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿مِن دُونِ اللَّهِ﴾ فالآية بدأت بضمير المتكلم ليثبت مصدر هذا المنزل، ثم جاءت كلمة ﴿عَبْدِنَا﴾ لتبين صفة النبي ﷺ، وتؤكد عبوديته التامة لربه جل وعلا، ثم تلتفت الآية إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ لتزيد الأمر تعظيماً، وتوضح أن صاحب هذا الضمير السابق هو الله ذو الألوهية والعبودية على الخلق أجمعين.

وفي هذا الالتفات إدخال الروعة وتربية المهابة، والإيذان بكمال سخافة عقولهم، حيث آثروا على عبادة من له الألوهية الجامعة لجميع صفات الكمال ما لا أحقر منه، وتأكيد عجزهم عن المعنى الملتفت إليه[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا...﴾ إلى قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

فانتقل الكلام من أسلوب التكلم في قوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، وكان مقتضى السياق أن يكون: فآمنوا بالله وبي، استمراراً على أسلوب التكلم، وفي الالتفات إلى ضمير الغيبة فائدتان:

إحداهما: دفع التهمة عن نفسه بالعصبية لها.

والثاني: تنبيههم على استحقاقه الاتباع بما اتصف به من الصفات المذكورة، من النبوة والأمية، التي هي أكبر دليل على صدقه، وأنه لا يستحق

---

(١) البرهان ٣/٣١٦، ٣١٧.

(٢) ينظر: تفسير أبي السعود ١/٦٥، ٦٦.

الاتباع لذاته، بل لهذه الخصائص[١].

قال ابن عاشور: «وفي قوله: ﴿وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ﴾ التفات من التكلم إلى الغيبة لقصد إعلان تحقق الصفة الموعود بها في التوراة في شخص محمد ﷺ»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل].

في هذه الآية الالتفات من أسلوب التكلم في قوله: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ﴾، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾.

قال الطبري: «والله أعلم بالذي هو أصلح لخلقه فيما يبدِّل ويغير من أحكامه»[٣].

وقال ابن الجوزي: «﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ من ناسخ ومنسوخ»[٤].

وقال ابن كثير: «يخبر تعالى عن ضعف عقول المشركين وقلة ثباتهم وإيقانهم، وأنه لا يتصور منهم الإيمان وقد كتب عليهم الشقاوة، وذلك أنهم إذا رأوا تغيير الأحكام ناسخها بمنسوخها قالوا للرسول: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۚ﴾؛ أي: كذاب وإنما هو الرب تعالى يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد»[٥].

وكان مقتضى السياق أن يكون: ونحن أعلم بما ننزل.

ولكن في هذا الالتفات: توبيخ الكفار، وبيان الحكمة من النسخ في كتاب الله تعالى.

قال البيضاوي: «﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ اعتراض لتوبيخ الكفار على قولهم والتنبيه على فساد سندهم»[٦].

وقال أبو السعود: «وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ٣١٧.
(٢) التحرير والتنوير ٩/ ١٤١.
(٣) تفسير الطبري ١٧/ ٢٩٧، وينظر: تفسير السمرقندي ٢/ ٢٩١.
(٤) زاد المسير ٤/ ٤٩١.
(٥) تفسير ابن كثير ٤/ ٦٠٣.
(٦) تفسير البيضاوي ٣/ ٤٢٠.

الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف].

في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾، أسلوب تكلم، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾، ثم عاد والتفت إلى التكلم فقال: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾.

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: نحن يا محمد نقص عليك خبر هؤلاء الفتية الذين أَوَوْا إلى الكهف، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾، يعني: بالصدق واليقين الذي لا شك فيه، ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾ يقول: إن الفتية الذين أَوَوْا إلى الكهف الذين سألك عن نبئهم الملأ من مشركي قومك، فتية آمنوا بربهم، ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ يقول: وزدناهم إلى إيمانهم بربهم إيماناً، وبصيرة بدينهم، حتى صبروا على هجران دار قومهم، والهرب من بين أظهرهم بدينهم إلى الله، وفراق ما كانوا فيه من خفض العيش ولينه، إلى خشونة المكث في كهف الجبل»[٢].

وقال السمين: «قوله تعالى: ﴿ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ﴾، فيه التفاتٌ من التكلم إلى الغيبة إذ لو جاء على نَسَقِ الكلام لقيل: إنهم فتيةٌ آمنوا بنا، وقوله: ﴿وَزِدْنَٰهُمْ﴾ ﴿وَرَبَطْنَا﴾ التفاتٌ من هذه الغَيْبَة إلى التكلم أيضاً»[٣].

وفي هذا الالتفات إلى لفظ الربوبية بيان عناية الله تعالى بهم، ورعايته وتوفيقه لهم.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾﴾ [فاطر].

---

(١) تفسير أبي السعود ٥/ ١٤١، وينظر: روح المعاني ١٤/ ٢٣١.
(٢) تفسير الطبري ١٧/ ٦١٥.
(٣) الدر المصون ١٠/ ٢٥.

في هذه الآية يخبر تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة، والإنفاق مما رزقهم الله في الأوقات المشروعة ليلاً ونهاراً، سراً وعلانية، ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: يرجون ثواباً عند الله لا بد من حصوله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾؛ أي: ليوفيهم ثواب ما فعلوه ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ أي: لذنوبهم، ﴿شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾ للقليل من أعمالهم[١].

قال الرازي: «وقوله تعالى: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾؛ أي: ما يتوقعونه ولو كان أمراً بالغ الغاية»[٢].

قال ابن عاشور: «ووقع الالتفات من التكلم في قوله: ﴿مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ﴾ إلى الغيبة في قوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ﴾ رجوعاً إلى سياق الغيبة من قوله: ﴿يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾؛ أي: ليوفي الله الذين يتلون كتابه»[٣].

وفي هذا الالتفات بيان الوفاء الكامل في ثوابهم من الله تعالى، وأن جزاءهم مضاعف فضلاً من الله ومنّة.

ـ وقوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه].

ففي هذه الآيات التفات من أسلوب التكلم في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾، ثم انتقل إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾؛ أي: هذا القرآن الذي جاءك يا محمد هو تنزيل من ربك رب كل شيء ومليكه، القادر على ما يشاء، الذي خلق الأرض بانخفاضها وكثافتها، وخلق السماوات العلى في ارتفاعها ولطافتها[٤].

وفي هذا الالتفات بيان عظمة الله تعالى ومجده.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٠/ ٤٦٣، تفسير ابن كثير ٦/ ٥٤٥.
(٢) ٢٦/ ٢١.
(٣) التحرير والتنوير ٢٢/ ٣٠٧.
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٢٧٢.

قال الزمخشري: «فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟.

قلت: غير واحدة، منها: عادة الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة.

ومنها: أنّ هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة.

ومنها: أنه قال أولاً: ﴿أَنزَلْنَآ﴾ ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنّىٰ بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين»[(١)].

وقال الرازي: «فائدة الانتقال من لفظ التكلم إلى لفظ الغيبة أمور.

أحدها: أن هذه الصفات لا يمكن ذكرها إلا مع الغيبة.

وثانيها: أنه قال أولاً: أنزلنا ففخم بالإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد، فتضاعفت الفخامة من طريقين.

وثالثها: يجوز أن يكون أنزلنا حكاية لكلام جبريل عليه السلام، والملائكة النازلين معه»[(٢)].

وقال ابن جزي: «وبدأ السورة بلفظ المتكلم في قوله: ﴿مَآ أَنزَلْنَا﴾، ثم رجع إلى الغيبة في قوله: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ الآية، وذلك هو الالتفات»[(٣)].

وقال البقاعي: «والالتفات من التكلم إلى الغيبة؛ ليدل على ما اقتضته النون من العظمة مقدماً ما اقتضى الحال تقديمه من سكن المدعوِّين المُعْتَنَى بتذكرتهم وهداية من أريد منهم»[(٤)].

ـ وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ۝٥ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝٦﴾ [الدُخان].

---

(١) الكشاف ٣/ ٥٣.
(٢) تفسير الرازي ٢٢/ ٥.
(٣) التسهيل ٢/ ١٦٧.
(٤) نظم الدرر ٥/ ٩.

أقسم جلّ ثناؤه بهذا الكتاب، أنه أنزله في ليلة مباركة؛ أي: كثيرة الخير والبركة، يُفْصَل ويميز ويكتب كل أمر قدري وشرعي حكم الله به، فأنزل الله تعالى أفضل الكلام بأفضل الليالي والأيام على أفضل الأنام، بلغة العرب الكرام، وهذا الأمر الحكيم أمر صادر من عند الله جل وعلا بنون العظمة، فأرسل الرسل وأنزل الكتب التي أفضلها القرآن رحمة من رب العباد بالعباد، فما رحم الله عباده برحمة أجل من هدايتهم بالكتب والرسل، وكل خير ينالونه في الدنيا والآخرة فإنه من أجل ذلك وسببه(١).

وقد جرى الكلام في بداية هذه السورة على أسلوب التكلم: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا﴾ ﴿عِندِنَا﴾، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة: ﴿رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ﴾، وكان مقتضى ظاهر السياق أن يكون: رحمة منا، ولكن في هذا الانتقال إشعار بعناية الله بمن أنزل عليهم الكتب وأرسل لهم الرسل، ولما ذكر الرحمة أظهر اسم الرب؛ لأنه يشير إلى معنى التربية والرفق والعناية.

قال البيضاوي: «﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ أي: أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد لأجل الرحمة بهم، ووضع الرب موضع الضمير للإشعار بأن الربوبية اقتضت ذلك فإنه أعظم أنواع التربية»(٢).

وقال الزركشي: «ومن الالتفات قوله: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ عدل عن قوله: رحمة منا، إلى قوله: ﴿رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضي رحمته وأنه رحيم بعبده»(٣).

وقال أبو السعود: «ووضع الرب موضع الضمير الإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية مقتضياتها وإضافة إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه»(٤).

وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢٢/ ٧، تفسير السعدي ٧٧١.
(٢) تفسير البيضاوي ٥/ ١٥٨.
(٣) البرهان ٣/ ٣١٦.
(٤) تفسير أبي السعود ٨/ ٥٩.

في هاتين الآيتين تحول من التكلم في قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾.

قال القزويني: «مثال الالتفات من التكلم إلى الغيبة قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾»(١).

وكان مقتضى السياق أن يكون: فصل لنا، وفي عدول الضمير للغائب الحث على الصلاة؛ فذكر بأنها لربه الذي رباه ورعاه زيادة في الترغيب فهو المستحق لإخلاص العبادة له.

قال الرازي: «قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ أبلغ من قوله: فصل لله؛ لأن لفظ الرب يفيد التربية المتقدمة المشار إليها بقوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ ويفيد الوعد الجميل في المستقبل أنه يربيه ولا يتركه»(٢).

وقال الزركشي: «حيث لم يقل: لنا، تحريضاً على فعل الصلاة لحق الربوبية»(٣).

وفيه هذا الأسلوب ترغيب النبي ﷺ بفعل ما أمره الله به على الوجه الأكمل، وفيه الإشارة إلى تشريف النبي ﷺ وتقريبه، وفيه تعريض بأنه يربُّه ويرْأَف به(٤).

قال ابن عاشور: «والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾، دون: فصل لنا، لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة؛ لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه»(٥).

وأمثلة هذا النوع كثيرة، وهي دالة على أهميته، ومن الحِكَم فيه:

١ ـ أن الالتفات من التكلم إلى الغيبة فيه نوع من البيان تظهر فيه روعة الأسلوب وجمال الألفاظ، مما ينشط الذهن ويدفع الملل.

---

(١) الإيضاح في علوم البلاغة ٧٥.
(٢) تفسير الرازي ٣٢/ ١٢٣.
(٣) البرهان ٣/ ٣١٧.
(٤) ينظر: روح المعاني ٣٠/ ٢٤٧، التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٤.
(٥) التحرير والتنوير ٣٠/ ٥٧٤.

٢ ـ أن أسلوب التكلم عائد إلى الله تعالى غالباً، كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا﴾ ﴿نَحْنُ نَقُصُّ﴾ ﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ ﴿إِنَّا كُنَّا﴾، وغيرها.

٣ ـ أن الانتقال من التكلم إلى الغيبة زيادة في المعنى من ناحيتين:

الأولى: من أسلوب التكلم المتضمن للعظمة والفخامة.

والثانية: من أسلوب الغيبة المتضمن غالباً وصفاً أو أكثر للملتفت إليه.

كما قال تعالى في سورة طه: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾﴾ [طه] ثم التفت لبيان زيادة عظمة المنزل: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَـٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾ [طه: ٤].

٤ ـ أن الغرض من الالتفات من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة يختلف حسب اختلاف السياق.

فقد يكون للتوبيخ، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [النحل].

فقوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ﴾ جملة اعتراضية لتوبيخ الكفار المنكرين للنسخ، والمكذبين لرسول الله ﷺ.

وقد يكون لبيان العناية بالملتَفَت إليه، كما في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾ [الكهف].

وقوله تعالى: ﴿رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾ [الدُخان] لما فيه من الإشعار بأن ربوبيته تقتضي رحمته وأنه رحيم بعباده.

وقوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾﴾ [الكوثر]؛ لأن لفظ الرب يفيد كمال التربية ويبشر بتحقيق الوعد الجميل في المستقبل في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾﴾ [الكوثر]، وفيه تشريف النبي ﷺ.

ومن تأمل في كل موضع وجد حِكَماً أكثر، وفوائد أدق، والله تعالى أعلم.

المطلب الخامس

انتقال الكلام من الخطاب إلى الغيبة

والمراد به: كون السياق جارياً على أسلوب الخطاب، ثم ينتقل إلى أسلوب الغيبة، وهو كثير في كتاب الله تعالى[١].

ومن الأمثلة على هذا الأسلوب:

ـ قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِم غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة].

فقد جاء الالتفات في هذه الآية من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾، إلى أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، فلم يأت على سياق الكلام: غير الذين غضبت عليهم؛ كما في قوله: ﴿أَنعَمتَ عَلَيهِم﴾، وذلك أن النعمة موضع خير وقرب من الله، فكان إسناده إليه بتاء المخاطب أبلغ، بخلاف الغضب، وهذا من أدب القرآن الذي علمنا عليه.

قال ابن الأثير: «لأن الأول موضع التقرب من الله بذكر نعمه، فلما صار إلى ذكر الغضب جاء باللفظ منحرفاً عن ذكر الغاضب، فأسند النعمة إليه لفظاً، وزوى عنه لفظ الغضب تحنناً ولطفاً»[٢].

وقال الزركشي: «ثم التفت إلى الغيبة بقوله: ﴿غَيرِ ٱلمَغضُوبِ عَلَيهِم﴾ ولم يقل: الذين غضبت كما قال أنعمت عليهم»[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَد ءَاتَينَا مُوسَى ٱلكِتَٰبَ وَقَفَّينَا مِن بَعدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَينَا عِيسَى ٱبنَ مَريَمَ ٱلبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدنَٰهُ بِرُوحِ ٱلقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُم رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱستَكبَرتُم فَفَرِيقًا كَذَّبتُم وَفَرِيقًا تَقتُلُونَ ۝٨٧ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلفُۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفرِهِم فَقَلِيلًا مَّا يُؤمِنُونَ ۝٨٨﴾ [البقرة].

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٧٧، الصاحبي في فقه اللغة ١٦٣، البرهان ٣/ ٣١٨.
(٢) المثل السائر ٢/ ٥.
(٣) البرهان ٣/ ٣٢٢.

يمتن تعالى على بني إسرائيل في هذه الآية أن أرسل لهم كليمَه موسى، وآتاه التوراة، ثم تابع من بعده بالرسل الذين يحكمون بالتوراة، إلى أن ختم أنبياءهم بعيسى ابن مريم عليه السلام، وآتاه من الآيات البينات ما يؤمن على مثله البشر، جاءت الآية بخطاب بني إسرائيل في قوله: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾﴾ أي: فقدمتم الهوى على الهدى، وآثرتم الدنيا على الآخرة، وفيها من التوبيخ والتشديد ما لا يخفى، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾؛ أي: عليها غلاف وأغطية، فلا تفقه ما تقول[١].

قال ابن عاشور: «﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ﴾ فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة، وإبعاد لهم عن مقام الحضور، فهو من الالتفات الذي نكتته أن ما أجري على المخاطب من صفات النقص والفظاعة قد أوجب إبعاده عن البال وإعراض البال عنه، فيشار إلى هذا الإبعاد بخطابه بخطاب البعد.

وقد حَسُن الالتفات لأنه مؤذن بانتقال الكلام إلى سوء مقابلتهم للدعوة المحمدية وهو غرض جديد، فإنه لما تحدث عنهم بما هو من شؤونهم من أنبيائهم وجه الخطاب إليهم، ولما أريد الحديث عنهم في إعراضهم عن النبي ﷺ صار الخطاب جارياً مع المؤمنين، وأجرى على اليهود ضمير الغيبة»[٢].

وقال أبو السعود: «﴿وَقَالُواْ﴾ بيان لفن آخر من قبائحهم على طريق الالتفات إلى الغيبة إشعاراً بإبعادهم عن رتبة الخطاب لما فصل من مخازيهم الموجبة للإعراض عنهم»[٣].

وقال الألوسي: «فيه التفات من الخطاب إلى الغيبة إعراضاً عن مخاطبتهم وإبعاداً لهم عن عز الحضور»[٤].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٢٣، تفسير السعدي ٥٨.
(٢) التحرير والتنوير ١/ ٥٩٩ بتصرف.
(٣) تفسير أبي السعود ١/ ١٢٧.
(٤) روح المعاني ١/ ٣١٨.

ـ وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأنعام].

بيَّن تعالى أن الذي له الألوهةُ التي لا تنبغي لغيره، المستحق إخلاص الحمد له بآلائه، هو الله الذي في السماوات، وفي الأرض يعلم سركم وجهركم، ويعلم ما تكسبون، فجاء سياق الكلام على أسلوب الخطاب، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾، وهذا إخبار من الله تعالى عن إعراض المشركين، وشدة تكذيبهم وعداوتهم، وأنهم لا تنفع فيهم الآيات[1].

ففي الآية انتقال من أسلوب الخطاب في قوله: ﴿يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم﴾.

وفي الانتقال إلى الغيبة: إعراض عنهم لقبح أفعالهم.

قال أبو السعود: «والالتفات للإشعار بأن ذكر قبائحهم قد اقتضى أن يضرب عنهم الخطاب صفحاً، وتعدد جناياتهم لغيرهم ذماً لهم وتقبيحاً لحالهم»[2].

وضمائر الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾﴾، عائدة إلى المشركين الذين هم بعض من شملته ضمائر الخطاب في الآية قبلها.

قال ابن عاشور: «ففي العدول عن الخطاب إلى الغيبة بالنسبة إليهم التفات أوجبه تشهيرهم بهذا الحال الذميم، تنصيصاً على ذلك، وإعراضاً عن خطابهم، وتمحيضاً للخطاب للمؤمنين، وهو من أحسن الالتفات لأن الالتفات يُحَسِّنه أن يكون له مقتض زائد على نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب المراد منه تجديد نشاط السامع»[3].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١١/ ٢٦١، تفسير ابن كثير ٣/ ٢٤٠، تفسير السعدي ٢٥٠.
(٢) تفسير أبي السعود ٣/ ١٠٩، وينظر: روح المعاني ٧/ ٩١.
(٣) التحرير والتنوير ٧/ ١٣٣.

ـ وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [يونس].

ففي هذه الآية التفات من أسلوب الخطاب الذي يعم جميع السامعين في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ﴾، وقوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، إلى أسلوب الغيبة حتى يبين ما يخص الكافرين[١] في قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾، وقوله: ﴿وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾، وقوله: ﴿وَجَآءَهُمْ﴾[٢].

قال المبرد: «والعرب تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب، قال الله جل وعز: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾»[٣].

وكان مقتضى السياق أن يكون: وجرين بكم، وفرحتم، وجاءكم، ولكن جاء العدول من خطابهم إلى حكاية حالهم لغيرهم، لتعجبِّه من فعلهم وكفرهم.

قال الزركشي: «إذ لو استمر على خطابهم لفاتت تلك الفائدة»[٤].

وفي نقل الكلام من الخطاب إلى الغيبة: معنى التشهير بهم، ورواية قصتهم لغيرهم؛ لأن في حكاية هذه الأفعال العجيبة عظة وعبرة، والإنسان لا يستعظم فعل نفسه غالباً، ولكن يستعظم فعل غيره، والله أعلم.

وفيه لطيفة أخرى: وهي أنهم كانوا في مقام الخطاب في الفلك كما في قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ﴾، فهم في مقام الشهود والحضور، ولما جرت بهم الريح ذهبوا بعيداً عن مقام الخطاب، فناسب حكاية هذه الحال بأسلوب الغيبة، ورُوعي تصوير حالهم في جميع الألفاظ، والله أعلم[٥].

---

(١) ينظر: البرهان ٣/ ٣١٨.
(٢) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٧٧، الصاحبي في فقه اللغة ١٦٤.
(٣) الكامل في اللغة والأدب ٣/ ١٧.
(٤) البرهان ٣/ ٣١٨.
(٥) ينظر: البرهان ٣/ ٣١٨، الإتقان ٢/ ١٨٦.

ـ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء].

فهذه الآية جرت على أسلوب الخطاب في قوله: ﴿أُمَّتُكُمْ﴾، ﴿رَبُّكُمْ﴾، ﴿فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾، والمراد بالأمة الواحدة هنا: أن دين الأنبياء دين واحد، وملتهم ملة واحدة[١].

قال الطبري: «يقول تعالى ذكره: إن هذه ملتكم ملة واحدة، وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان وسائر ما تعبدون من دوني.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل»[٢].

وفي هذا الالتفات إلى أسلوب الغيبة: حكاية وضعهم إلى قوم آخرين؛ لأنه جدير بأن يحذَّر منه، وليكون أعظم في النفوس.

وفيه تقبيح فعلهم، وبيان عظيم جرمهم فيما ارتكبوه من تفريق دين الله ومفارقة الجماعة.

قال الزمخشري: «﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ والأصل: وتقطعتم، إلا أن الكلام حُرِف إلى الغيبة على طريقة الالتفات، كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين، ويُقَبِّح عندها فعلهم وقوله لهم: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله»[٣].

وقال البيضاوي: «﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ صرفه إلى الغيبة التفاتاً لينعى على الذين تفرقوا في الدين وجعلوا أمره قطعاً موزعة بقبيح فعلهم إلى غيرهم»[٤].

وقال الزركشي: «﴿وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ والأصل: فقطعتم، عطفاً على ما قبله لكن عدل من الخطاب إلى الغيبة، فقيل: إنه سبحانه نعى عليهم

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير ٥/ ٤٧٩، تفسير البغوي ٥/ ٤٢٠، تفسير السعدي ٥٣٠.
(٢) تفسير الطبري ١٨/ ٥٢٣.
(٣) الكشاف ٣/ ١٣٤.
(٤) تفسير البيضاوي ٤/ ١٠٧.

ما أفسدوه من أمر دينهم إلى قوم آخرين ووبخهم عليه قائلاً: ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله»[١].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [المؤمنون].

ففيها الالتفات من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾؛ ـ أي: وإنَّ دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد وهو الإسلام، وأنا ربكم فاتقوني بامتثال أوامري واجتناب زواجري ـ إلى أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

كان الخطاب للأنبياء بأن دينهم واحد، فقبلها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون]، ثم انتقل الكلام إلى أممهم فبين أنهم تفرقوا واختلفوا.

قال ابن عطية: «قوله: ﴿وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾﴾ وإن كان قيل للأنبياء فأممهم داخلون بالمعنى فيحسن بعد ذلك اتصال ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ ومعنى الأمة هنا: الملة والشريعة، والإشارة بهذه إلى الحنيفية السمحة ملة إبراهيم عليه السلام وهو دين الإسلام وقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟﴾ يريد الأمم؛ أي: افترقوا»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الرُّوم].

بيَّن تعالى في هذه الآية أن من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا يزيد عند الله، بل يمحقه ويبطله، وإنما الثواب عند الله في الزكاة ابتغاء مرضاة الله وطلباً لثوابه، فهذا هو الذي يقبله الله ويضاعفه لكم أضعافاً كثيرة[٣].

وكان الكلام فيه جارياً على أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم

(١) البرهان ٣/٣١٩.
(٢) المحرر الوجيز ٤/١٧٨.
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير ٦/٣١٨.

مِّن زَكَوٰةٍ﴾، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

وفي هذا الالتفات التنبيه باسم الإشارة الذي هو في معنى ضمير الغائب على ارتفاع منزلتهم عند الله.

قال الزمخشري: «﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ التفات حسن، كأنه قال لملائكته وخواص خلقه: فأولئك الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم: هم المضعفون، فهو أمدح لهم من أن يقول: فأنتم المضعفون»[(١)].

وقال البيضاوي: «والالتفات فيه للتعظيم كأنه خاطب به الملائكة وخواص الخلق تعريفاً لحالهم أو للتعميم كأنه قال فمن فعل ذلك: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾»[(٢)].

وقال أبو السعود: «وفي تغيير النظم الكريم والالتفات من الجزالة ما لا يخفى»[(٣)].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات].

في هذه الآية خطاب الله تعالى للمؤمنين: أن بين أظهركم رسول الله فعظِّموه ووقروه، وتأدبوا معه، وانقادوا لأمره، فإنه أعلم بمصالحكم، وأشفق عليكم منكم، ورأيه فيكم أتمّ من رأيكم لأنفسكم، والله تعالى يحبب إليكم الإيمان، ويزينه في قلوبكم، ويكره إليكم الكفر والذنوب كلها، ثم جاء اسم الإشارة على معنى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾، أي: من سبق ذكرهم هم المهتدون للصراط المستقيم[(٤)].

وقد جاء الانتقال من أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ﴾، ثم

(١) الكشاف ٣/ ٣٨٧، وينظر: البحر المحيط ٧/ ١٧٠.
(٢) تفسير البيضاوي ٤/ ٣٣٧.
(٣) تفسير أبي السعود ٧/ ٦٢.
(٤) ينظر: تفسير البغوي ٧/ ٣٣٩، تفسير ابن كثير ٧/ ٣٧٢، تفسير السعدي ٨٠٠.

انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾.

قال أبو حيان: «﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ التفات من الخطاب إلى الغيبة»(١).

وقال أبو السعود: «قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾؛ أي: السالكون إلى الطريق السوي الموصل إلى الحق، والالتفات إلى الغيبة كالذي في قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [الرُّوم]»(٢).

ففي هذا الانتقال باسم الإشارة للبعيد ـ الذي هو في قوه ضمير الغيبة ـ لتشريفهم، وبيان علو منزلتهم، كما هو في الآية التي قبله.

وصفوة القول أن أمثلة هذا الأسلوب كثيرة في كتاب الله تعالى، ومن أسراره:

١ ـ أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة من الأساليب اللغوية التي تدل على العناية باختيار اللفظ ودقة العبارة، وربط اللفظ بالمعنى.

قال ابن قتيبة: «ومنه ـ أي: باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه ـ أن تخاطب الشاهد بشيءٍ، ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢]، وقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ۝٣٩﴾ [الرُّوم]، وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧]، ثم قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾ [الحجرات: ٧]»(٣).

٢ ـ من فوائد انتقال الأسلوب من الخطاب إلى الغيبة: الإعراض عن المخاطب في أغلب المواضع.

---

(١) البحر المحيط ٨/ ١١٠، الدر المصون ١٣/ ١٥٠.
(٢) تفسير أبي السعود ٨/ ١٢٠.
(٣) تأويل مشكل القرآن ١٧٧، وينظر: الصاحبي في فقه اللغة ١٦٤.

كما في قوله تعالى: ﴿...أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُواْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾﴾ [الأنعام].

وقوله تعالى: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا﴾ [يونس: ٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الأنبياء] ونحوها.

٣ ـ ومن حكم الانتقال من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة كذلك: التفخيم والتشريف.

كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء].

فقد جاء الالتفات في هذه الآية من الخطاب في قوله: ﴿جَآءُوكَ﴾، ثم انتقل إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، ولم يأت: واستغفرت لهم؛ تفخيماً لشأن الرسول ﷺ، وتعظيماً لاستغفاره.

ومن المعلوم أن الاسم الظاهر من قبيل الغيب ما لم يدخل عليه ما يوجب الخطاب[(١)].

قال العكبري: «ولم يقل: فاستغفرت لهم؛ لأنه رجع من الخطاب إلى الغيبة لما في الاسم الظاهر من الدلالة على أنه الرسول»[(٢)].

وقال الرازي: «إنما قال: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ولم يقل: واستغفرت لهم، إجلالاً للرسول عليه الصلاة والسلام، وأنهم إذا جاؤوه فقد

(١) الكليات ٢٤١.
(٢) التبيان في إعراب القرآن ١/ ٣٦٩.

جاؤوا من خصه الله برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه ومن كان كذلك فإن الله لا يرد شفاعته، فكانت الفائدة في العدول عن لفظ الخطاب إلى لفظ المغايبة ما ذكرناه»[١].

وقال أبو حيان: «والتفت في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، ولم يجئ على ضمير الخطاب في: ﴿جَآءُوكَ﴾ تفخيماً لشأن الرسول، وتعظيماً لاستغفاره»[٢].

وكذا أفاد الالتفات التفخيم في قوله جل وعلا: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الرُّوم: ٣٩].

ومثله كذلك قوله سبحانه: ﴿وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ [الحجرات: ٧].

إلى غير ذلك من الفوائد واللطائف التي أشار إليها العلماء حول هذا الأسلوب القرآني العربي البليغ، والله تعالى أعلم.

المطلب السادس

انتقال الكلام من الغيبة إلى الخطاب

والمراد به: أن يأتي السياق على أسلوب الغيبة، ثم ينتقل إلى أسلوب الخطاب، وهو كثير في كتاب الله تعالى، وأسلوب الالتفات من الغيبة إلى الخطاب من أول المواضع التي بيّن فيها المفسرون ما يتعلق بالالتفات[٣]، وأظهروا ما في هذا الأسلوب من حِكَم وأسرار[٤].

ومن أمثلة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى:

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة].

---

(١) تفسير الرازي ١٠/ ١٣٠.
(٢) البحر المحيط ٣/ ٢٩٥.
(٣) لوقوع شاهده في أول سورة الفاتحة.
(٤) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ١٦٤، البرهان ٣/ ٣٢٢، تفسير أبي السعود ١/ ١٦.

فابتدأت هذه السورة بالحمد والثناء والتمجيد لله تعالى بأسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾، ثم انتقل إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

قال ابن فارس: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ معناه: فأعِنّا على عبادتك»(١).

ولو جرى على أسلوب الغيبة كما هو السياق لكان: إياه نعبد.

قال النحاس: «وقال: إياك، ولم يقل: إياه؛ لأن المعنى: قل يا محمد إياك نعبد على أن العرب ترجع من الغيبة إلى الخطاب»(٢).

وقال أبو حيان: «﴿إِيَّاكَ﴾ التفات؛ لأنه انتقال من الغيبة، إذ لو جرى على نسق واحد لكان: إياه»(٣).

وفي هذا الأسلوب تدرُّج في الثناء فانتقل من الحمد إلى الثناء إلى التمجيد، والعبد إذا وصف الله بهذه الأوصاف قرب منه، وإذا قرب منه ناداه.

قال ابن جزي: «ذكر الله تعالى في أول هذه السورة على طريق الغيبة ثم على الخطاب في: إياك نعبد وما بعده، وذلك يسمى الالتفات، وفيه: إشارة إلى أن العبد إذا ذكر الله تقرب منه؛ فصار من أهل الحضور فناداه»(٤).

وقال أبو السعود: «﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ التفات من الغيبة إلى الخطاب، وتلوين للنظم من باب إلى باب، جار على نهج البلاغة في افتنان الكلام ومسلك البراعة حسبما يقتضي المقام لما أن التنقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في استجلاب النفوس واستمالة القلوب»(٥).

وقال ابن عاشور: «والانتقال من أسلوب الحديث بطريق الغائب المبتدأ من قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ إلى أسلوب

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة ١٣٤.
(٢) معاني القرآن ١/ ٦٥.
(٣) البحر المحيط ١/ ١٤١، وينظر: الدر المصون ١/ ٣٥.
(٤) التسهيل ١/ ٦٤.
(٥) تفسير أبي السعود ١/ ١٦.

طريق الخطاب ابتداء من قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ إلى آخر السورة، فن بديع من فنون نظم الكلام البديع عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة التفاتاً»[١].

وفوائد هذا الأسلوب كثيرة[٢]، ومنها:

١ ـ دلالة اختصاص العبادة والاستعانة واستحقاقها لله جل وعلا، وتقديم الضمير دليل على المبالغة في ذلك.

٢ ـ وكذلك فإن أسلوب الخطاب أخص من أسلوب الغيبة، فاستعمل الأسلوب الأخص في ذكر الفعل الأخص[٣].

قال الألوسي: «سر الالتفات من الغيبة إلى الخطاب، وقد ازدحمت فيه أذهان العلماء بعد بيان نكتته العامة، وهي: التفنن في الكلام والعدول من أسلوب إلى آخر تطرية له وتنشيطاً للسامع، فقيل: لما ذكر الحقيق بالحمد ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات، وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك ليكون أدل على الاختصاص، والترقي من البرهان إلى العيان، والانتقال من الغيبة إلى الشهود، وكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيب حضوراً»[٤].

ـ وقوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [التوبة].

محل الالتفات في هذه الآية في قوله تعالى: ﴿فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾، فقد جاءت بأسلوب الخطاب، وما قبلها كان بأسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾، وقوله: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ ۚ﴾، وكان مقتضى السياق أن يكون: فإن تابوا فهو خير لهم.

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ١٠٢.
(٢) ينظر: الكشاف ١/ ٥٦، الإتقان ٢/ ١٨٧.
(٣) الإكسير في علم التفسير ١٧٧.
(٤) روح المعاني ١/ ٨٩.

وفي هذا الالتفات من الغيبة إلى الخطاب معنى التهديد والتخويف[١].

قال أبو السعود: «﴿فَإِن تُبْتُمْ﴾ من الشرك والغدر، التفات من الغيبة إلى الخطاب لزيادة التهديد والتشديد»[٢].

ـ وقوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران].

في هذه الآية بيَّن تعالى بَعد مَكْرِ الذين كفروا من بني إسرائيل لقتل عيسى عليه السلام أنه مَكَرَ بهم وهو خير الماكرين، فمكر الله بهم، إذ قال الله لعيسى: إني قابضك من الأرض من غير أن ينالك سوء، ورافعك إليَّ ببدنك وروحك، ومخلصك من الذين كفروا بك، وجاعل الذين اتبعوك ظاهرين على الذين جحدوا نبوتك إلى يوم القيامة، ثم إليّ مصيركم جميعاً يوم الحساب، فأفصِل بينكم فيما كنتم فيه تختلفون من أمر عيسى عليه السلام[٣].

قال الطبري: «ومكر الله بالقوم الذين حاولوا قتلَ عيسى مع كفرهم بالله، وتكذيبهم عيسى فيما أتاهم به من عند ربهم»[٤].

ففي هذه الآية الالتفات من أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾، إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ﴾.

قال أبو حيان: «﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ هذا إخبار بالحشر والبعث، وهذا عندي من الالتفات، فلو جاء على نمط السابق لكان التركيب: ثم إليّ مرجعهم، ولكنه التفت على سبيل الخطاب للجميع، ليكون الإخبار أبلغ في التهديد، وأشد زجراً لمن يزدجر»[٥].

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٣/ ٢٧٠، روح المعاني ١٠/ ٤٨.
(٢) تفسير أبي السعود ٤/ ٤٢.
(٣) ينظر: تفسير القرطبي ٤/ ١٠٠، تفسير السعدي ٥٣، التفسير الميسر ٥٧.
(٤) تفسير الطبري ٦/ ٤٥٥.
(٥) البحر المحيط ٢/ ٤٩٨ بتصرف، وينظر: الدر المصون ٣/ ٤٢١.

ففي هذه الآية معنى البشارة والنّذارة، وجاءت بأسلوب الالتفات ليكون أبلغ في التأثير، وليعم بالخطاب الجميع.

قال البقاعي: «ولما كان البعث عاماً دل عليه بالالتفات إلى الخطاب فقال تكميلاً لما بشر به من النصرة: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: المؤمن والكافر في الآخرة»(١).

وقال أبو السعود: «﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾؛ أي: رجوعكم بالبعث، وثم: للتراخي، وتقديم الجار والمجرور للقصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد، والضمير لعيسى عليه الصلاة والسلام وغيره من المتبعين له والكافرين به على تغليب المخاطب على الغائب في ضمن الالتفات فإنه أبلغ في التبشير والإنذار»(٢).

ويفيد الالتفات إلى أسلوب الخطاب: العناية والاهتمام.

قال الألوسي: «﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾ أي: مصيركم بعد يوم القيامة ورجوعكم، وفيه التفات للدلالة على شدة إرادة إيصال الثواب والعقاب؛ لدلالة الخطاب على الاعتناء»(٣).

وقوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم].

لما قرَّر تعالى في هذه السورة الشريفة عبودية عيسى عليه السلام، وذكر خلقه من مريم بلا أب، شرع في مقام الإنكار على من زعم أن له ولداً ـ تعالى وتقدّس وتنزه عن ذلك علوّاً كبيراً ـ ففي هذه الآيات بيان جرأة الكفار بقولهم: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، فقال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾؛ أي: لقد جئتم ـ أيها القائلون ـ بهذه المقالة شيئاً عظيماً منكراً(٤).

فقد جاء الالتفات من أسلوب الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ﴾، إلى

(١) نظم الدرر ٢/ ٩٩.
(٢) تفسير أبي السعود ٢/ ٤٤.
(٣) روح المعاني ٣/ ١٨٤.
(٤) ينظر: تفسير الطبري ١٨/ ٢٥٧، مفردات ألفاظ القرآن ٦٩، تفسير ابن كثير ٥/ ٢٦٥.

أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿جِئْتُمْ﴾، وفي هذا الالتفات إلى الخطاب معنى التوبيخ على وجه شديد الصراحة؛ لأن من فُتِن في دينه فزعم اتخاذ الرحمٰن ولداً، يُستَنكر منه هذا القول الآثم، ويستحقُّ التوبيخ، وتوبيخُ الحاضر أشد نكاية من توبيخ الغائب، فهذا ـ والله أعلم ـ من أسرار الالتفات في هذه الآية الكريمة[١].

قال أبو السعود: «﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ رد لمقالتهم الباطلة، وتهويل لأمرها بطريق الالتفات، المنبئ عن كمال السخط وشدة الغضب، المفصح عن غاية التشنيع والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجرأة»[٢].

وقال ابن عاشور: «والخطاب في: ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ﴾، للذين قالوا: ﴿ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا﴾، فهو التفات لقصدِ إبلاغهم التوبيخ على وجه شديد الصراحة لا يلتبس فيه المراد»[٣].

وقوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾ [عبس].

ذَكَر المفسرون[٤] أن رسول الله ﷺ كان يوماً يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طَمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم ـ وكان ممن أسلم قديماً ـ فجعل يسأل رسول الله ﷺ عن شيء ويلح عليه، وودَّ النبي ﷺ أن لو كف ساعته تلك؛ ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل؛ طمعاً ورغبة في هدايته، وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه بوجهه وبدنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله ﷻ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾﴾؟ أي: يحصل له زكاة وطهارة في نفسه[٥].

---

(١) ينظر: الكشاف ٣/ ٤٥، تفسير البيضاوي ٤/ ٣٥، البحر المحيط ٦/ ٢٠٥، روح المعاني ١٦/ ١٣٩.

(٢) تفسير أبي السعود ٥/ ٢٨٢.

(٣) التحرير والتنوير ١٦/ ١٧٠.

(٤) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية ١٢/ ٨٠٥٤، تفسير ابن كثير ٨/ ٣١٩، تفسير السعدي ٩١٠.

(٥) أخرجه الطبري ٢٤/ ٢١٧، والحاكم ٢/ ٥١٤ (٣٨٩٦)، وقال: صحيح على شرط =

قال الشوكاني: «أجمع المفسرون على أن سبب نزول الآية قصة ابن أم مكتوم»[١].

والالتفات في هذه الآية من أسلوب الغيبة في قوله: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾، وفيه الإكرام والإجلال واللطف برسول الله ﷺ من المواجهة بالعتاب، ثم انتقل إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾، وفيه الإقبال عليه ﷺ تأنيساً له بعد الإعراض[٢].

قال أبو حيان: «وجاء بضمير الغائب في: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ إجلالاً له عليه الصلاة والسلام، ولطفاً به أن يخاطبه؛ لما في المشافهة بتاء الخطاب مما لا يخفى»[٣].

وقال القرطبي: «ومع هذا أنزل الله في حقه على نبيه ﷺ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ بلفظ الإخبار عن الغائب، تعظيماً له، ولم يقل: عبست وتوليت، ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيساً له»[٤].

وقال البقاعي: «ولما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال، وكان طول الإعراض موجباً للانقباض، أقبل عليه ﷺ فقال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾؛ أي: وأي شيء يجعلك دارياً بحاله وإن اجتهدت في ذلك فإن ذوات الصدور لا يعلمها إلا الله تعالى»[٥].

ورأى الزمخشري، وابن عطية: أن العتاب هنا بأسلوب الخطاب زيادةٌ في الإنكار.

قال الزمخشري: «وفي الإخبار عما فرط منه، ثم الإقبال عليه

= الشيخين ولم يخرجاه، والترمذي ٥/ ٤٣٢ (٣٣٣١)، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة عبس، وقال: هذا حيث غريب، والواحدي ٣٧٩، كلهم من حديث عائشة رضي الله عنها، وصححه ابن حبان ٢/ ٢٩٣ (٥٣٥)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٣/ ١٢٦ (٢٦٥١).

(١) فتح القدير ٥/ ٥٣٩.
(٢) ينظر: روح المعاني ٣٠/ ٣٩.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٤١٩.
(٤) تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٣.
(٥) نظم الدرر ٨/ ٣٢٤.

بالخطاب: دليل على زيادة الإنكار، كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه، تم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهاً له بالتوبيخ وإلزام الحجة»[١].

وقال ابن عطية: «وفي مخاطبته بلفظ ذكر الغائب مبالغة في العتب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض»[٢].

والذي عليه الأكثر: أن في أسلوب الغيبة إكرام للنبي ﷺ.

قال أبو حيان: «ولابن عطية هنا كلام أضربت عنه صفحاً»[٣].

وقال ابن جزي: «قال ابن عطية: في مخاطبته بلفظ الغائب مبالغة في العَتَب؛ لأن في ذلك بعض الإعراض، وقال الزمخشري: في الإخبار بالغيبة زيادة في الإنكار، وقال غيرهما: هو إكرام للنبي ﷺ، وتنزيه له عن المخاطبة بالعتاب، وهذا أحسن»[٤].

وهذا هو الأقرب والله أعلم.

وبهذا يتبين أن أمثلة هذا الأسلوب في كتاب الله تعالى كثيرة، وعناية المفسرين فيه كبيرة، وانتقال الكلام من الغيبة إلى الخطاب له معان وأغراض كثيرة، ومنها:

١ ـ التهديد والتخويف، كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [آل عمران: ٥٥].

وفي قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النحل: ٥٥]، والالتفات في قوله: ﴿فَتَمَتَّعُوا۟﴾[٥].

٢ ـ التوبيخ والتقريع، كما في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾﴾ [مريم: ٨٩].

---

(١) الكشاف ٤/ ٧٠٢.
(٢) المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٨.
(٣) البحر المحيط ٨/ ٤١٩.
(٤) التسهيل ٣/ ٢٨٢، وينظر: تفسير القاسمي ٩/ ٤٠٥.
(٥) ينظر: روح المعاني ١٤/ ١٦٦.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾ [الأعراف: ١٦٩]، فالالتفات في قوله: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[١].

وقوله تعال: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل]، فالالتفات في قوله: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ﴾[٢].

٣ ـ ومن ذلك الامتنان على العباد، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [السجدة]، فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾، والغرض الامتنان[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [النور].

فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾، فتشريع هذه الأحكام فضلٌ من الله تعالى، وأسلوب الخطاب لغرض الامتنان أبلغ.

قال أبو السعود: «التفات إلى خطاب الراجين والمرميات بطريق التغليب لتوفية مقام الامتنان»[٤].

إلى غير ذلك من الأغراض والفوائد لمن تأمل فيها، وهي سِرٌّ من أسرار الإعجاز البلاغي في كتاب الله جل وعلا، والله تعالى أعلم.

❐ وختاماً:

فإن من عادات القرآن: انتقال الكلام من أسلوب إلى أسلوب، ولكلِّ أسلوب من أساليب القرآن حِكَم وفوائد، عرَفَها من عرَفَها، وجَهِلَها من جَهِلَها، وخلاصة الكلام:

١ ـ أن عادة القرآن في الانتقال من أسلوب إلى آخر هي عادة العرب في

(١) ينظر: تفسير أبي السعود ٣/ ٢٨٨.
(٢) ينظر: تفسير الخازن ٤/ ٩٥.
(٣) ينظر: الدر المصون ١٢/ ٨.
(٤) تفسير أبي السعود ٦/ ١٥٩.

شعرهم ونثرهم[١].

قال النسفي: «والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب أدخل في القبول عند السامع، وأحسن تطرية لنشاطه، وأملأ لاستلذاذ إصغائه، وقد تختص مواقعه بفوائد ولطائف قلما تتضح إلا للحذاق المهرة، والعلماء النحارير، وقليل ما هم»[٢].

فالقرآن نزل بلغة العرب وأساليبهم، وأعجزهم عن الإتيان بمثله، فصار مرجعاً لهم في أساليبهم، مما جعل العلماء يربطون استدلالهم كثيراً بآيات القرآن لهذا الأسلوب.

٢ ـ رفع السآمة والملل من الاستمرار على أسلوب واحد، متكلم أو مخاطب أو غائب، وبالانتقال تستريح النفوس ويتجدد نشاطها، فيَحسُن الانتقال من أحدها إلى الآخر؛ لأن الكلام المتوالي على نسق واحد غير مُسْتَطَاب.

٣ ـ أن الانتقال الذي هو محل الدراسة هو الانتقال اللفظي لا المعنوي، فيكون المنتَقَل إليه هو في نفس الأمر الملتَفَت عنه[٣].

٤ ـ تنوُّع الأغراض والفوائد من الالتفات في الأساليب على حسب السياق، وهي أكثر من أن تحصر في جزء من بحث، والجامع لها مراعاة المخاطب من حيث الرقَّة أو الشدة.

٥ ـ انتقال الكلام من أسلوب إلى آخر يحث على التفكير في المعنى؛ لأن تغيُّر الأسلوب يدعو للتفكير في السبب.

٦ ـ أن انتقال الأساليب في القرآن لا يتوقف على الضمائر، بل يتعدى للأفعال والأعداد، وغيرها، ولكن باب الضمائر هو أشهرها.

ولذلك اختلفت عبارات العلماء في تحديد هذا المصطلح.

فمنهم من أطلق عليه: الترك والرجوع[٤]، ومنهم من ذكره في باب:

---

(١) عَدَّهُ ابن فارس في فقه اللغة: من سنن العرب في حقائق الكلام ١٤٩.
(٢) تفسير النسفي ١/ ٧، ٨. (٣) ينظر: البرهان ٣/ ٣١٤.
(٤) كأبي عبيدة معْمَر بن المثنى في كتابه: مجاز القرآن ١/ ١٢، ولكنه لم يذكر شيئاً عن =

مخالفة ظاهر اللفظ معناه[١]، وعدُّوه من مجاز القرآن، ومنهم من قال: تحويل الخطاب[٢]، والاصطلاح الذي عليه الجمهور: الالتفات، وقد أفرده المتأخرون بمبحث مستقل، وتتابع العلماء على التأليف فيه واستفادة بعضهم من بعض وتوسع بعضهم في الموضوع، وهو حقيق بالبحث والاستنباط أكثر، والله تعالى أعلم.

= الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير التكلم في القرآن الكريم أو العكس، ولم يشر إلى أي سر من أسرار الالتفات في أي نوع من أنواعه، ومع ذلك فإنه يعتبر من أوائل من تكلم عن أسلوب الالتفات في كتابٍ مُؤَلف، واستفاد منه من بعده.
وسماه المبرد تركاً حيث قال: «والعربُ تترك مخاطبة الغائب إلى مخاطبة الشاهد، ومخاطبة الشاهد إلى مخاطبة الغائب»، الكامل في اللغة ٣/ ١٧.

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن ١٧٧، فقد أشار إليه في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه.

(٢) ينظر: الصاحبي في فقه اللغة ١٦٣، ١٦٤.

الخَاتِمَة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خير البريات، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد عشت مع هذا البحث فترة من عمري، أقلب فيها كتب التفسير، وأهل اللغة؛ من المتقدمين والمتأخرين، لأستخرج شيئاً من أسرار القرآن العظيم وكنوزه، من خلال جمع عاداته الأسلوبية، وتحقيقها بدراسة الأمثلة التطبيقية من آيات القرآن، فزادت معرفتي لأهمية هذا الموضوع وحاجته إلى وقت أطول، ومشروع أكبر، وظهر لي عدة نتائج أثناء البحث، أبرزها ما يلي:

- ظهور عناية العلماء قديماً وحديثاً بعادات القرآن، على اختلاف عباراتهم في تحديد هذا المصطلح؛ إذ بعضهم يعبر عنه بذكر الأمثلة عليه، كما هي عادة السلف الأوائل؛ حيث لم يكونوا يُعنَون بالحدود والتعريفات، ولم يظهر هذا المصطلح إلا في القرن السادس الهجري.

- أن عادات القرآن ليست محصورة على أساليبه، بل عاداته متنوعة لا يمكن حصرها، ومن ذلك: عادات القرآن الشرعية، واللغوية، والفقهية، والعقدية، وغيرها مما يفتح الأفق للباحثين في هذا الموضوع.

- أن العادات الأسلوبية في القرآن لا تخلو من دلالة خاصة ميَّزت اختيار الأسلوب في القرآن، وهي محل تدبر وتأمل، ودافع للإيمان بإعجاز هذا القرآن من جميع الوجوه.

- أن الأسلوب شامل للحروف والألفاظ والتراكيب، وكل حرف في القرآن فله معنى.

- أن عادات القرآن من جملة العلوم المضافة إلى القرآن.

- عادات القرآن من أهم دلالات الترجيح بين المعاني عند المفسرين.
- عادات القرآن تحمي المفسر من القول على الله بلا علم.
- إيجاب العلماء تنزيل معاني القرآن على المعهود من عرفه وعادته.
- من عادات القرآن: اختيار الحرف واللفظ المناسب للسياق، نيابة بعض الحروف أو الألفاظ عن بعض، التأكيد ببعض الحروف أو حذفها، استعمال بعض الألفاظ لمعنى خاص، الحذف والذكر، والإضمار والإظهار، والإيجاز والإطناب، اقتران بعض الألفاظ أو الآيات الكونية أو الأحكام ببعض، ربط القصص بما يناسبها، وقصرها على المقصود، مع تكرار بعضها، خطاب الأنبياء بأسماءهم ونبينا ﷺ بوصفه، وعموم الخطاب، والانتقال بين الأساليب، وغيرها كثير كما جاء تفصيل ذلك في ثنايا البحث.
- زادت قناعتي بأن علوم القرآن لا تنفد، وأن نعم الله تعالى عامة على عباده، فقام العلماء السابقون بخدمة كتاب الله بكل ما يستطيعون، وتركوا الكثير لمن بعدهم، فنحمد الله تعالى على ما يسر، ونسأله دوام التوفيق والسداد.
- لا بُدَّ لاستخراج عادات القرآن من الاستقراء الكامل لكتاب الله، بتأمل وتدبر، مع استجماع شروط المفسر لئلا يحصل الخطأ والزلل.
- ولا أدعي في جمعي هذا أني أحطت بجميع عادات القرآن؛ لأن البحث يعتمد على الاستقراء، الذي يصعب معه الاستقصاء، ولكن حسبي أن بذلت غاية وسعي، ونهاية جهدي، والله الموفق، وهو حسبي ونعم الوكيل.

❐ المقترحات والتوصيات:

ـ ضرورة التوسع في جمع عادات القرآن المتنوعة في موسوعات علمية من خلال مشاريع بحثية.

ـ العناية بعادات القرآن ضمن تدريس تفسير كتاب الله تعالى وعلومه، وبيان أهمية الرجوع إليها عند الاختلاف في معنى اللفظ اللغوي.

ـ تأصيل المنهج الصحيح لاستخراج هذه العادات، والحكم عليها، من خلال الندوات والمؤتمرات العلمية.

ـ من الموضوعات التي لا زالت بحاجة إلى بحث:

١ ـ خروج اللفظ عن مقتضى الظاهر وتحته عادات كثيرة.

٢ ـ دراسة الاقتران في القرآن وفيه فروع كثيرة.

٣ ـ التقديم والتأخير من أجل الفاصلة القرآنية.

٤ ـ الدقة في ألفاظ القرآن الكريم.

٥ ـ دراسة عادات القرآن اللغوية، والفقهية، والعقدية، والتربوية، والدعوية، وغيرها.

٦ ـ دراسة أساليب الالتفات في القرآن وإظهار إعجازه وبلاغته وأسراره من خلالها.

وفي الختام أكرر حمدي وشكري لله تعالى على ما يسر وأعان على إتمام هذا البحث وأنا في أتم الصحة والعافية، كما أكرر شكري لمشرِفَيّ الأفاضل، ولكل من أفادني وكان سبباً في تيسير بحثي، كما أعترف أن هذا جهد بشري، وهو عرضة للنقص والخطأ، والكمال لله وحده.

وكما قال الأول: إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر.

ولكن حسبي أني بذلت الوسع في إعطاء البحث حقه من الاهتمام والجدية.

وأستغفر الله تعالى من كل ما زلت به القدم، أو طغى به القلم، وأستغفر الله من أقوالي التي لا توافقها أعمالي، وأستغفر الله من كل خطرة دعتني إلى التصنع والتزين في بحثي، وأرجو الله تعالى لمن طالع بحثي أن يُكرَمَ بالرحمة والمغفرة والتجاوز عن جميع السيئات ظاهراً وباطناً، وأن لا يبخل عليَّ بتوجيه أو تنبيه، وتقويم أو تصويب، وله مني الشكر والدعاء.

أسأل الله العلي القدير أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم،

مكتوباً له القبول في الدنيا والآخرة، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

الفهارس الفنية

* فهرس الآيات.
* فهرس الأحاديث والآثار.
* فهرس الأعلام.
* فهرس العادات القرآنية.
* فهرس الكلمات اللغوية.
* فهرس الأبيات الشعرية.
* ثبت المصادر والمراجع.
* فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات

طرف الآية	رقمها	الصفحة

سورة الفاتحة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	٢
﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾	٣
﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾	٤
﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾	٦
﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾	٧

سورة البقرة

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾﴾	١ ـ ٢
﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾	٣
﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾	٤
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾	٥
﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ﴾	١٠
﴿ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ﴾	١٣
﴿وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾﴾	١٧
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾﴾	١٨
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾	١٩
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ﴾	٢٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾	٢١
﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ﴾	٢٢

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٢٣	
﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾	٢٣	
﴿الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾	٢٧	
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾﴾	٢٨	
﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	
﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	٣٣	
﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾	٣٥	
﴿وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾﴾	٣٦	
﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾	٣٧	
﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾﴾	٣٨	
﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	
﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ ﴿٤١﴾﴾	٤١	
﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾﴾	٤٣	
﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾	٤٥	
﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾﴾	٥٤	
﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾﴾	٥٥	

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾﴾	٥٩	
﴿وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾﴾	٦٠	
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾	٦٣	
﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ﴾	٦٥	
﴿قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا﴾	٧١	
﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾﴾	٧١	
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ﴾	٧٤	
﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ﴾	٧٤	
﴿وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾	٧٦	
﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾	٨٢	
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾	٨٣	
﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ﴾	٨٧	
﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾	٨٨	
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾	٨٩	
﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾	٨٩	
﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْ ۖ قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾	٩٣	
﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾﴾	٩٧	

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾	٩٨	
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ﴾	١٠١	
﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾	١٠٢	
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ﴾	١٠٣	
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾﴾	١٠٤	
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ﴾	١٠٥	
﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾	١٠٧	
﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُوا۟ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾	١٠٨	
﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	١١١	
﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ﴾	١١٣	
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾﴾	١١٤	
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ بَل لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾﴾	١١٦	
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾	١١٧	
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ ۗ﴾	١١٨	
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾	١٢٠	